متفائلون

للشيخ خالد الراشد

الباب الأول: حقيقة التفاؤل واليأس

بيّن الشيخ أن اليأس والقنوط ليسا من صفات المؤمنين بل من صفات الكافرين، لأنهما سوء ظن برب العالمين، وشك في قدرته على تغيير الأحوال، بينما التفاؤل ثمرة اليقين بالله.

المؤمن متفائل دائماً لأن اليأس ينافي الإيمان ويطعن في الثقة بالله.

الباب الثاني: نماذج من تفاؤل الأنبياء

– يعقوب عليه السلام ظل متفائلاً بعودة يوسف رغم فقده أربعين سنة.

– موسى عليه السلام عند البحر قال بثقة: "كلا إن معي ربي سيهدين".

قصص الأنبياء مليئة بالأمل والثقة في الله رغم الشدائد.

الباب الثالث: تفاؤل النبي صلى الله عليه وسلم

– في الغار طمأن أبا بكر: "لا تحزن إن الله معنا".

– مع سُراقة بن مالك بشّره بسواري كسرى وهو مطارد.

– يوم الأحزاب حفز أصحابه ببشائر الفتوحات.

النبي صلى الله عليه وسلم سيد المتفائلين، غرس الأمل في أصحابه في أحلك الظروف.

الباب الرابع: التفاؤل في معارك الإسلام

– بدر: النصر رغم القلة.

– حنين: الهزيمة رغم الكثرة إلا أن الله أيد المؤمنين.

النصر لا يعتمد على العدد بل على الإيمان والثقة بالله.

الباب الخامس: حقيقة التفاؤل الإيجابي

التفاؤل لا يكون في أوقات الرخاء فقط، بل يظهر في الشدائد والأزمات. وهو تفاؤل فعال مقرون بالعمل والأخذ بالأسباب، لا مجرد أحلام.

التفاؤل الإيجابي هو الثقة بالله مع العمل الجاد والأخذ بالأسباب.

الباب السادس: أسباب النصر والتمكين

النصر له أسباب: الصبر، قوة الأخلاق، الجد في العمل، ترك اللهو والمجون. أما الأمة المنشغلة بالشهوات فمصيرها الهزيمة.

النصر لا يتحقق إلا بالأخلاق والصبر والجد، لا باللهو والانشغال بالدنيا.

الباب السابع: بشائر النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة

– الأمة بخير مهما ضعفت.

– الإسلام في ازدياد والشرك في نقص.

– بشّر النبي أمته بالرفعة والنصر والتمكين.

الخيرية باقية في الأمة إلى يوم القيامة، والنصر قادم بإذن الله.

الباب الثامن: التفاؤل في واقع الأمة اليوم

رغم ما تمر به الأمة من شدائد، إلا أن شبابها وفتياتها في خير، والتوبة والعودة إلى الله في ازدياد، ودعاء الكبار يحوطها.

أمتنا بخير، والتفاؤل بالمستقبل واجب رغم الابتلاءات.

النص الكامل للمحاضرة

متفائلون

متفائلون لفضيلة الشيخ خالد الراشد لا سَمُوتُنَّا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا أُبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا أما بعد، فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدثةٍ بِدعةٍ، وكل بِدعةٍ ضلالةٍ، وكل ضلالةٍ في النار عباد الله، لم يكن اليأسُ والقنوط من صفات المؤمنين، ولا ينبغي أن يكون من صفاتهم، بل هو

من صفات الكافرين كما قال الله، إنه لا ييأسُ من روح الله إلا القوم الكافرون، لذلك يكثرُ الانتحارُ عندهم وبينهم، بخلاف المسلمين الموقنين عباد الله، إن اليأسَ والقنوط طعنٌ في الإيمان واليقين، وسوءُ ظنٍ برب العالمين، وشكٌّ في قدرة الله على تغيير الأمور والأحوال تناسَ هؤلاء أن مقالِدَ الأمور بيد الله، لا بيد المخلوقين، وأن الأمرَ لله من قبل ومن بعد، وأن الله إذا أرادَ أمراً إنما يقولُ له كُن فيكون قال الله، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فَشَتَّانَ بَيْنَ الْمُتَفَائِلِ وَالْيَائِسُ فَالْمُتَفَائِلُ صَاحِبُ ثِقَةٍ وَيَقِينٌ وَالْيَائِسُ صَاحِبُ شَكٍّ وَرِيبَةٍ من التفاؤُل يُولَدُ الأمل، ومن الأمل يُولَدُ العمل، ومن العمل يُولَدُ النجاح ولقد عَنَ القرآنُ ببثِّ الأمل في النفوس اليائِسة من خلال قصص الأنبياء الذاخرة بالمواقف التفاؤُلية التي ينبغي تأمُّلُها، والوقوفُ عندها اتِّعاضًا واعتبارًا فهذا يعقوب عليه السلام يرسم للأجيال كيف يكون التفاؤُل طويلَ المدى فلقد فقدَ فلذَّة كبده يوسف أربعين سنةً كما قيل، ومع ذلك لم يزل متفائِلاً مؤمِّلاً عودتَه لقد كان الأملُ يملأُ جوانِحَه ومشاعِرَه وكيانَه، ولم تؤثِّر السنون الطويلةُ على أمله وحُسن ظنِّه بربِّه لقد كان يقينُه بأن يوسف حيًّا، وأنه سوف يجتمعُ به يوماً ما، ولقد تحقَّقَ له ذلك حتى بعد أن زادَ البلاء بفقدِ الصغير بنيامين، ورأْل الأكبر الذي رفضَ الرجوع حتى يأذنَ له أبوه ما زادَه البلاء إلا ثقةً ويقينًا وحُسن ظنٍّ بربِّ العالمين لكن اسمع ماذا قال يعقوب حين لاموه على ذكره ليوسف قالوا تالله تفتأُ تذكر يوسف حتى تكون حرَضًا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكُبَثِّي وحُزني إلى الله وأعلمُ من الله ما لا تعلمون سمعت فهمت رعاك الله أعلمُ من الله ما لا تعلمون أي أرجُو منه كل خير وفي الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي أي أجازِيَه بحُسن ظنِّه بي إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر وتأمَّل معي رعاك الله في قول الله تبارك وتعالى على لسان موسى عليه السلام كلا إن معي يا ربي سيهديني ما أروعها من آية وما أروعها من عبارات ما أجملَت الكثقة وما أحلى ذلك التفاؤل تخيل الموقف لما جاء فرعون وجنوده وأجمعوا كيدهم وبغيهم وظلمهم وعدوانهم وأسقط في يد الضعفاء وقال بعض من مع موسى عليه السلام إِنَّا لَمُدْرَكُونَ لَا مَحَالَةَ هَالِكُونَ لَا فَائِدَةٌ لَا نَجَاةٌ لَا نَصْرَ أُخِيطَ بِنَا وَسَتَقَعُ الْكَارِثَةَ سَيُدْرِكُنَا فِرْعَوْنَ سَيَأْخُذُنَا سَيُقَتِّلُنَا وَسَنَنْتَهِي فجاءت كلمات موسى عليه السلام الواثقة كالغيث لتحيي النفوس وترسم الطريق إلى النصر فكم لله من لطفٍ خفي يدقُّ خفاه عن فهم الذكي وكم أمرٍ تساءُ به صباحًا وتأتيك المسرَّة في العاشي وكم يسرٍ يجيءُك بعد عسرٍ يفرِّج كربةَ القلب الشجيِ إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الفرد العلي عباد الله عندما نقلِّب صفحات التاريخ قديماً وحديثاً فإننا نلاحظ وبوضوح بأن جميع العظماء والناجحين يملكون صفةً بارزةً وهي التفاؤل لذلك جاء من تعريفات القوة أنها التفاؤل وهي صفةٌ لازمةٌ للأقوية قال الماوردي فأما الفأل ففيه تقويةٌ للعزل وباعثٌ على الجد ومعونةٌ على الضفر والنصر بالتفاؤل وحُسن الظن قاد نبيُّنا صلى الله عليه وسلم هذه الأمة من انتصارٍ إلى انتصار ووصلَ بها إلى برِّ الأمان والمواقفُ في حياته أكبرُ دليلٍ وبُرهان فلقد هاجرَ بأبيه وأمي صلواتُ ربي وسلامُه عليه من مكة في سوادِ الليل متخفِّياً حذراً وأهلُها يحمِلون له العداوةَ والبغضاء ويسعونَ سعيَهم للوصول إلى قتلِه والتخلُّص من دعوتَه فاستقبلَته المدينةُ في وضحِ النهار تترنَّم من الفرح بقدومِه وما هي إلا سنواتٌ حتى دخلَ مكةَ فاتحاً وأصبحَ من أحبِّ الناس إلى أهلِها يفدونَه بأموالِهم وأرواحِهم ولكن منذ يوم الفجرة إلى يوم الفتح كم تحملَ من الشدائد وكم مرَّ به من الابتلاءات والصعوبات وهو مع ذلك يُطلِقُ أجملَ عبارات الثقة واليقين والرضا عن ربِّ العالمين ففي الغار وهو مطلوبٌ حيًّا أو ميتًا يقول لرفيق الدرب الصديق رضي الله عنه لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَيَقُولُ لَهِ كَيْفَ أَنْتَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ونستمع أحبَّتي لخبر سراقَه ابن مالك الذي رواه البخاري عن خبر مطاردَته سراقَه للنبي صلى الله عليه وسلم طمعًا في جائزة قريش المغرية التي رصدَتها لمن يأتيَها بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أو بأخبارهما روى البخاري بسنده عن ابن شهاب قال وأخبرني عبد الرحمن ابن مالك المذلجي وهو ابن أخي سراقَه ابن مالك ابن جشعم أن أخبره أنه سمع سراقَه يقول جاءنا رسلُ كفار قريش يجعلون في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكرندية لكل واحدٍ منهما لمن قتلَهما أو أثرَهما فبينما أنا جالس في مجلسٍ من مجالس قومي بني مذلج إذ أقبلَ رجلٌ منهم من بني مذلج حتى قام علينا ونحن جلوسٌ فقال يا سراقَه إني رأيت سوادًا بالساحل أراها محمدًا وأصحابَه قال سراقَه فعرفتُ أنهم هم فقلتُ لهم إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يريدُ أن يصرِفَهم عنهم حتى ينالَه تلك الجائزة قال ثم لبِستُ في المجلس ساعةً ثم قمتُ فأمرتُ جاريتي أن تُخرِجَ فرسي من ظهر البيت ثم أخذتُ رُمحي حتى أتيتُ فرسي فركِبتُها فلازلتُ أقطعُ الطريق حتى دنوتُ منهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه فعثرت بي فرسي فخررتُ على وجهي منها فقمتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأزلام فاستقسمتُ بها أضرُّهم أم لا أضرُّهم فخرجَ الذي أكرَه فركِبتُ فرسي وعصيتُ الأزلام حتى إذا اقتَربتُ منهم ساخَت يد فرسي في الأرض حتى بلغَت الرُّكبتين فخررتُ عنها ثم الزجَرتُها فنهضَت فما كادَت تُخرِجُ يديها واستوَت قائمةً إذا لأثر يديها عنانٌ صاطعٌ في السماء مثل الدخان فاستقسمتُ بالأزلام مرةً ثانية فخرجَ الذي أكرَه فناديتُهم بالأمان فوقفوا فركِبتُ فرسي حتى جئتُهم فوقع في نفسي حين لقيتُ من الحبس عنهم أنه سيظهرُ أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ مخاطِبًا للنبي صلى الله عليه وسلم إن قومَك اتجعلوا فيكَ الديَّة وأخبرتُهم أخبارَ الناس وما يريدون منهم وعرَقتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يقبل إلا أنهم قالوا أخفِ عنَّا أي صُدَّ عنَّا الذين يطلبونَنا فسألتُه أن يُكتبَ لي كتابَ أمنٍ فأمرَ عامر بن فهيرة فكتبَ في رُقعةٍ من أدم ثم مضَوا في طريقهم فلما أرادَ سُراقة أن يرجِع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك يا سُراقة إذا سُورتَ بسِوارَي كسرى قال سُراقة كسرى بن هرمز قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وما هي إلا سنوات حتى تحقَّقَت تلك الكلمات وسقطَت فارس والروم وأصبحَ مُلكُهم قديمةً للمسلمين كلماتٌ عظيمة قالها سيِّدُ المتفائلين صلى الله عليه وسلم ولا يقولها في مثلِ هذا الموقف إلا رجلٌ عظيمٌ تامُ مُثِّقَه بربِّه تخيَّل معي رجلٌ مُطارَد بين الكهوف والجبال خرج متخفِّيًا مطلوبًا حيًّا أو ميتًا استخباراتُ الجزيرة تطارِده ثم يقول هذه العبارات قالها لأنه صلى الله عليه وسلم كان عارفًا تمامًا معرفة بالحق الذي معه وعارفًا تمامًا معرفة بالباطل الذي عليه الجاهلية والأهم أنه كان وافقًا من أن هذا الحق لابد أن ينتصر على هذا الباطل كما قال الله بَنَقْلِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ عباد الله إنما يكون التفاؤل الذي من علاماته الثقة والثبات في المواقف الحرجة وعند الأزمات تقول السير والأخبار أنه بعد الاتفاق الوثني اليهودي حاصر الأحزاب المدينة واجتمعوا عليها وأحاطوا بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم والمسلمون أقلُّ عدداً وعدةً وفي ذلك الضعف والليل والظلمة والرياح الباردة الشديدة في مثل تلك الظروف حفر المسلمون الخندق للتصدي لتلك الجموع الظالمة وبينما هم يحفرون بأيديهم مع جوعهم والظروف القافية يشكون للنبي صلى الله عليه وسلم صخرةً لم تقوَ عليها معاولهم وفؤوسهم فينزلوا بأبيه وأمي صلوات ربي وسلامه عليه ويُشمِّر عن ساقَيْه وساعدَيْه ويهبط إلى الصخرة فيأخذ المِعْوَل ويقول بسم الله ويضرب ضربةً فيكسِر ثلثَ الحجر ويقول الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبسر قصورها الحمراء من مكاني هذا ثم يقول بسم الله ويضرب أخرى فيكسِر ثلثَ الحجر فيقول الله أكبر أعطيت مفاتيح العراق والله إني لأبسر المدائن وأبسر قصورها البيضاء من مكاني هذا ثم يقول بسم الله ويضرب ثالثةً أخرى فيقلع بقية الحجر ويقول الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبسر أبواب الصنعاء من مكاني هذا فيأهلَة الظروف وأسوأها وقد بلغت القلوب الخناجر من شدة

الخفقان والفزع وظلَّ البعض بالله الظنون وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً وفُضِحَ المنافقون ومن في قلبهم مرض وسطَ كل هذا يبثُّ صلى الله عليه وسلم روحَ التفاؤل بين أصحابه تذكِّرهم بوعد الله بالنصر والتمكين يُنعِشُوا أنفسهم بذكر الجنة والنعيم يُشفِي صدورهم بذكر حال الكفار المكذبين والمنافقين فردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا ردَّهم بريحٍ لم يتوقعوها وبملائكةٍ لم يروها وقذفَ الله في قلوبهم الرُّعب فريقًا يقتل المسلمون ويأثِرون فريقًا لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في أشد المعازِق حرجًا ومع ذلك تبدُو عليه أمارات الإطمئنان وأن الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات الحريجة وما أجمل الدعاء إذا خرج من القلب المضطر المليء بالثقة والإيمان منزلَ الكتاب ومُجريَ السحاب سريعَ الحساب إهزِم الأحزاب اللهم اهزِمهم وزلزِلهم اللهم اهزِمهم زلزِلهم وانصُرنا عليهم وما أجمل نداءات الإستغاثة وهي تُرفعُ إلى ربِّ الأرض والسماء يا صريخَ المكروبين يا مُجيبَ المضطرين اكشِف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزلَ بي وبأصحابي أحزابٌ من الأمام يهودٌ من الخلف منافقون في الداخل وما أشبهَ اليوم بالأمس بلغَ الكربُ والضيق والشدَّةُ مبلغًا لا يصمُدُ معه إلا من كان على مستوى محمدٍ صلى الله عليه وسلم ومن معه من الأصحاب الأبرار عباد الله إن الذي يصنُع الانتصارات الحقيقية ويبعثُ الأمن والإتمِئنان في النفوس ساعة الروع وساعة الخوف ليست كثرةُ الجيوش وقوتُها فالقوة لم تكن بالضرورة قرينة النصر فهؤلاء هم أصحاب بدرٍ رغم القلة والضعف انتصروا كما قال الله وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وفي حُنين مع كثرتهم وقوتهم فرُّوا وغرَبُوا لولا أن تدارَك النبي صلى الله عليه وسلم الأمر فقال الله ويوم حُنين إذ أعجبَتْكم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئًا وضاقَت عليكم الأرض بما رحُبَت ثم وليتُم مُدبرين فأنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذَّبَ الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين وقفَ النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين يوم فرَّ الأصحاب وقفَ ثابتًا يُردِّب أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلِب أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلِب فالذي يصنع الانتصارات هو الأقيد الراسخة والإيمان القوي بالله تعالى إن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب فإنه يصنع من الضعف عزمًا ومن الخمول نُهوبًا ومن الذلة عزًّا ومن الشُحف كرمًا الإيمان يصنع المعجزات ويأتي بأطيب السمرات وتتحقق على يدي أهله الانتصارات والكرامات قال شيخ الإسلام رحمه الله ليس في الدنيا من نعيم الجنة إلا حلاوة الإيمان ليس في الدنيا من نعيم الجنة إلا حلاوة الإيمان عباد الله ولا تظهر حقيقة التفاؤل إلا في الشدائد وعند مراحل الضعف والابتلاءات فليس المتفائل وصاحب الثقة واليقين من تنفرج أساريره وينشرح صدره حين يكون الظهور والغلبة للإسلام والمسلمين إنما يكون التفاؤل والثقة واليقين عندما يسود الظلام ويشتد الضيق وتجتمع الكروب وتتكالب الأمم لأن المتفائل أمله بالله كبير وهو على ثقة ويقين بأن العاقب أهل المتقين وأن المستقبل لهذا الدين في مثل هذه الحالات من التقلب والأزمات يبدو الفرق واضحاً بين أهل الصدق وأهل الكذب فالصادقون تفيض قلوبهم دائماً وآبداً بالرضا عن الله والثقة بنصره والكاذبون يتساقطون عند المخارف وينهارون عند الشدائد ثم لا تجد لهم ولياً من دون الله ولا نصيراً ولكن حتى نتجاوز الأقبات ونحل الإشكالات ونتخطى الانتكاثات ونحقق الانتصارات لابد أن نعرف أن للانتصارات أسبابها وأخلاقها التي من أهمها وأقواها شدة البأس ورجولة الأخلاق والصبر عند اللقاء فإذا انصرت الأمة إلى اللهو والعبة والمجون وتركت لأهل قنواتها أن يبتدوا أخلاقها ولمجانها أن يثيروا غرائزها ولسفهائها أن يضيعوا أموالها ولعابثها أن يصرفوها عن حياة الجد والعمل والاستعداد كان حينئذ نصيبها الهزيمة المؤكدة مهما تبجحت بالأقوال وقرأت الطبول لابد على الأمة أن تعرف من هي وما هي وظيفتها عباد الله إن التفاؤل هو زاد المسير وزاد النصر والتفاؤل أدب نبوي فتفاؤلوا بالخير تجدون وإنما يصيب الأمة من رزايا عمحا ومطائب وفتن إنه إلا اختبار وامتحان وابتلاء من الرحمن والنصر قادم لا محالة والنصر قادم لا محالة كما قال الله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ولله حكم قد تخفى علينا ولكن الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيظ الأرحم وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهربه ومن هو مستخدم بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقومه حتى يغير ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه نوان هو الذي يريكم البرق خوف وطمع وينشئ السحابة ثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال المطلوب عباد الله المطلوب هو التفاؤل الإيجابي ذلك التفاؤل الذي يساهم في تجاوز المرحلة التي تمر بها أمتنا اليوم مما يشد من عضوها ويثبت أقدامها في مواجهة أشرط الأعداء وأقوى الخصوم ليتحقق لها النصر بإذن الله التفاؤل الإيجابي هو التفاؤل الفعال المقرون بالعمل المتعدي حدود الأمان والأحلام التفاؤل الإيجابي هو المتمشي مع السنن الكونية أما الخوارق والكرامات فليست لنا ولا يطالب المصرم بالاعتماد عليها أو المكون إليها وإنما نحن مطالبون بالأخذ بالأسباب وفق المنهج الرباني والتفاؤل الإيجابي هو التفاؤل الواقعي الذي يتخذ من الحاضر دليلاً على المستقبل دون إفراط أو تفريط أو غلو أو جفاء والتفاؤل الإيجابي هو المبني على الثقه بالله والإيمان بتحقيق موعوده واعلموا عباد الله أن النصر مع الصبر فكونوا لله أقرب وبنصره أرغب وسيأتي النصر إن عاجلاً أو آجلاً ويومئذ يطرح المؤمنون وحينها أيضاً سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون عباد الله ولا تهلك هذه الأمة إلا حين يبخل أبناؤها ببذل الأسباب لنصرتها فيريدون الأمل بلا عمل لذلك قال صلى الله عليه وسلم صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهدك آخرها بالبخل والأمل الذي نعلمه علم يقين أن أمتنا بخير بإذن الله يرجى لها النصر يرجى لها النصر من الله ولو بعد خين وإلى ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره والخيرية باقية في هذه الأمة مهما كانت الظروف والأحوال قال صلى الله عليه وسلم لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة فمهما بلغ الحال والضعف في المسلمين فإن الأصل في الإسلام العلو والسيادة والتمكين فمهما بلغ الحال والضعف في المسلمين فإن الأصل في الإسلام العلو والسيادة والتمكين فلا نيأس ولا نقنط لضعف المسلمين حين من الدهر فقد قال صلى الله عليه وسلم وأخبر أيضاً صلى الله عليه وسلم باستمرار زيادة الإسلام فقال ولا يزال الإسلام يديه وينقص الشرك وأهوه حتى تسير المرأتان لا تخشيان إلا جوراً، والذين نفتي بيده لا تذهب الأيام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم فالأمل باطل وامتداد سلطان المسلمين مستمرٌ بإذن الله وها نحن نرى ونسمع كل يوم عن أفواجٍ يدخلون في الإسلام في كل مكان وأصحاب الأقائد الباطلة يتركونها إلى المعتقد الصحيح ولقد بشَّر النبي صلى الله عليه وسلم ببشائر تذيب كل يأسٍ وتدفع كل قنوب وتريح قلب كل فاقدٍ للأمل في أبناء هذا الدين فقد قال صلى الله عليه وسلم بشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فشبابنا بخير وأعداد التائبين المنظمين إلى قوافل العائدين في ازديادٍ يوماً بعد يوم وفتياتنا بخير فقافلات الداعيات انطلقت وركب في ركبها الملايين وسنظل بخير لأن شيبنا وكبارنا من آباء وأمهات يدعون بالليل والنهار لصلاح البنين والبنات ويدعون لنصرة هذا الدين سنظل بخير لأن الله معنا ولأننا مسلمون رب الدائماً أنا مسلم وأقولها ملء الوراء وعقيدتي نور الحياة وسعددي اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنه لا يتحقق النصر إلا على أيدي المتقين عباد

الله قد يكون للباطل جولة ولأشاعه صولة أما العاقبة فإنما هي للذين صبروا والذين هم مصلحون والذين هم على ربهم يتوكلون فالأمة اليوم لا تريد الباكين العابسين المقطبين بل تريد العباد المخلصين العاملين الدعاة المصلحين والمتفائلين أطباء كانوا أو مهندسين نريد من يعمل بإخلاص عملاً دائماً وجهاداً في سبيل نصرة الأمة وإخراجها من ضعفها ونشر رسالتها التي ملأت الكون حقاً وعدلاً وأمناً لقرون طوال نريد من يقيم الدين بمعانيه الشاملة والكاملة في الاعتقاد والعمل والعبادة والأخلاق والآداب والسلوك والمعاملات في أعقاب معركة اليموك الشهيرة وقف ملك الروم يسائل كلول جيشه المهزوم وقف يسائلهم والمرارة تعتصر قلبه والغيظ يملأ صدره والحنق يكاد يذهب عقله يقول لهم ويلكم أخبروني عن هؤلاء الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم قالوا بلى أيها الملك قال فأنتم أكثر أم هم قالوا بل نحن أكثر بل نحن أكثر منهم في كل منطن قال فما بالكم إذن تهزمون أمامهم فأجابه شيخٌ من عظمائهم إنهم يهزموننا لأنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويتناصفون بينهم هذه الخصال الرافعة من جهادٍ وصومٍ وصلاةٍ ووفاءٍ بالعهد وإنصافٍ وغيرها هي التي انتقلت بأسلافنا تلك النقلة الضخمة من عتبات الله والعزة ومناة الثالثة الأخرى إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين حيث الأرواح المتطلعة إلى السماء والنفوس السابحة في العليا هذه الخصال هي التي صنعت أبطالاً لا كالأبطال ورجالاً لا كالرجال خطُّوا بدمائهم الزكية الصفحات الأولى من الصفحات هذه الأمة ولا زال عندنا ولله الحمد من أمثال هؤلاء الرجال وهؤلاء الأبطال لذلك نحن متفائلون ولا زالت الأمة رغم ما تعانيه تسطر صفحات من العز والثبات رغم كل المخاطر والتهديدات والخيانات لابد أن نعلم أن المقياس عند الله غير مقياس البشر فالله يجعل من الضعف قوة ومن القلة كثرة تأمل في قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين واسمع معي قوله صلى الله عليه وسلم إنما ينصر الله هذه الأمة بضعافها بدعوتهم وصلاتهم وأخلاقهم ننصر بذلك المسلم المقيد بالأغلال المحبوس في الأقبية والمطارد في الجبال الفاقد الاستلاح بدعوته وصلاته وإخلاصه ينصر الله هذه الأمة تأمل رب أشعة مدفوع بالأبواب لو أقسم عن الله لأبره عباد الله قد نرى القوة اليوم بيد أعدائنا والغلبة لهم في بعض الأمكنات لكن لا ننسى أن الله هو المتصرف بهذا الكون وعينه لا تغفل عن عباده المؤمنين ولن يرضى لهم الدلة والقهر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الميزان بيد الرحمن الميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين ومما يبعث على التفاؤل ويعيد الثقة في نفوس الأمة علمنا بأن الله يجعل في هذه الأمة في كل قرن سباقين في الخير لا يبالون بالمحن يتأسى بهم الناس كما في الحديث في كل قرن من أمة سابقون ومن فضائل هذه الأمة ومن رحمة الله بها أن يبعث لها من يصحح لها المفاهيم ويسير بها على الجادة ويقودها إلى الهداية ويجدد لها أمر دينها بشر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها نعم عباد الله فإما أن يأتي الفرج على أيدي السابقين وإما أن يأتي على أيدي المجددين والقرب لا يدوم وربنا يقول إن مع العسر يسرى ولا يغلب عسر يسرين ولا حرج في قلة الأتباع ولكن الحرج في التقسير في الأخذ بالأسباب عباد الله المطلوب منا أن نتواصل بالصبر على البلاء والثبات إذا وقع القضاء وأن نكون بشير خير ولا نكون نذير شر المطلوب منا أن نقول للمتشائمين بعد طول انتظار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم حينما اشتكوا من كثرة البلاء وشدته فقال لهم والله ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون المطلوب منا الثقة واليقين برب العالمين والثقة التي يريدها الله منا هي الثقة التي تحققت في أم موسى عمليًا حين قال الله لها فإذا قفتي عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا ردوه إليكي وجاعلوه من المرتلين فألقته في اليم ولم تخف ولم تحزن مع أن اليم خطيرٌ على الكبير فكيف بالطفل الرضيع الصغير فلما أراد الله أن يمضي قضاءه وقدره ويدل الصغاة والظالمين جعل الله فرعون يربي موسى في قصره وأمام عينيه وهو لا يعلم أن هلاكه سوف يكون على يديه وهكذا تجري أجائب قدر الله كما قال الله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا إن فرعون والهامان وجنودهما كانوا الخاطئين فإذا أراد الله أمراً أمضاه وسبب أسبابه والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون عباد الله إن هذه الحرب المشتوبة إن هذه الحرب المشتوبة والمعلنة على الإسلام لا تفقد نثقة في أن المستقبل لهذا الدين فلقد صمد الإسلام على مر الدهور والعصور لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات والهجمات الوحشية التي توجه لمواكب الصحوة التي أغاضتهم في كل مكان بل لقد واجههم الإسلام وانتصر وحافظ على الجماعات والأوطان وهو مجرد من السلاح إن الإسلام هو الذي حمل وطن الإسلامي هو الذي حمل وطن الإسلامية في الشر من هجمات التتار ثم رد هجمات الصليبيين وردهم الخائبين إن الإسلام هو الذي صنع الأبطال والذين حققوا الانتصارات حميةً للإسلام فلقد صنع خالدًا وابن تيمية وصلاح الدين وصنع المظفر قطز والملك الناصر وهو الذي صنع ابن عبد الوهاب الذي أرعبتهم دعوته الوهقابية والإسلام هو الذي كافح في الجزائر 150 عامًا وهو الذي حافظ على عروبة الجزائر المسلمة حتى بعد أن حطم الغزاة مقومات العروبة المتمثلة في اللغة والثقافة فقام الإسلام يكافح الغزاة ويستعذي على الصليبيين ولا يحي رأسه لهم لأنهم أعداؤه فأشعل الإسلام روح المقاومة التي قادها عبد الحميد بن بادس الذي صنعه الإسلام والإسلام كذلك هو الذي قاوم الاحتلال في السودان في ثورة المهدي الكبير وهو الذي كافح في برقة وطرابلس ومن هناك خرج عمر المختار الباسل النبيل شيخٌ كبير تجاوز السبعين لكنه أسعب المحتلين لا عجب فلقد كان معلماً للقرآن إن الذي صنعه هو الإسلام الذي صنع الأبطال الآخرين لقد كافح الإسلام وهو أعظم لأن عنصر القوة كامنٌ في طبيعته كامنٌ في بساطته ووضوحه وشموله وملائمته للفطرة البشرية وتلبيته إلى حاجات النفوس الحقيقية فطرة الله التي فطر الناس عليها إن قوة الإسلام تكمن في استعلائه عن العبودية للعباد بالعبودية لله رب العباد وفي رفض التلقي إلا من الله ورفض الخضوع إلا لله روى ابن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض النجاش ونحن ثمانون رجلاً ومعنا جعفر بن أبي طالب وبعث قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمر بن الآخ مع هدايا فأتوه بها فقبيلها وسجدوا له فقالوا إن قوماً منا ربوا عن ديننا وهم في أرضه فأرسل إليهم النجاش فقال جعفر لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم فانتهوا إلى النجاش فقال عمر وعمارة إنهم لا يسجدون لك فلما انتهوا إليه قال جعفر زبرنا الرهبان يعني نهرنا الرهبان قائلين لنا اسجدوا للملك فقال لهم جعفر نحن لا نسجد إلا لله نحن لا نسجد إلا لله فقال النجاشي وماذاك قال جعفر إن الله بعث فينا رسوله وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر إلى آخر كلامه رضي الله عنه الشاهد من الكلام نحن لا نسجد إلا لله الله أكبر لسان حالهم ولغير الله لا نحن الجباه لا ولن نخضع إلا للإله منه نرجي النصر وهو المرتجى إنه خالقنا جل علا في سبيل الله نحيا ونموت بحياة العز أو موت الفدى وإذا ما كتف الداعي إلى نصرة الإسلام لابين النداء نعم عباد الله إن قوة الإسلام تكمن في استعلائه بأهله مهما كانت الظروف والأحوال لأن الله قال لأهل الإسلام ولا تهنوا ولا تعزنوا وأنتم الأعلى إن كنتم مؤمنين من أجل هذه الخصائص يحاربه أعداءه لأنه أي الإسلام يقف لهم في الطريق يبدد أحلامهم لاستعمارية الاستغلالية ويمنعهم عن الطغيان والتألّه في الأرض كما يريدون من أجل هذا يطلقون على الإسلام حملات القمع والعبادة كما يطلقون عليه حملات التشويه والخداع والتظليل ويستهمون أهله بالإرهاب والتطرف والتشدد إلى غيرها من الاتهامات الباطلة

يريدون أن يستبدلوا بالإسلام قيمًا أخرى وتصورات أخرى لا تمت إلى الإسلام المناضل العميد بسلسلة لا من قريب ولا من بعيد يريدون أن تستريح الصهيونية الآلمية وشركتها الصليبية من هذا المناضل العميد الذي ظنوا الذي كلما ظنوا أنهم قدروا عليه عاد إليهم بقوة ومن جديد وصدق الله حين أخبرنا عنهم وعن أعوانهم يريدون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم إلا أن يثم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى والدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إن يقينا الذي لا يتزعزع أبداً هو أن المستقبل هذا الدين لذلك ما creamy متفائلون وامتبشرون فالبشرية في حاجة الإسلام والإسلام ليس في حاجة أحد فالبشرية في حاجة الإسلام والإسلام ليس في وليسنا في حاجة لتأكيد هذه الحقيقة إن معرفتنا بالحق الذي معنا ومعرفتنا بالباطل الذي يدعون إليه هي التي تجعلنا على ثقة ويقين أن العاقبة للمتقين كما يجب أن نعلم أن جميع أعداء الإسلام واقعون في دائرة تهديد الله لهم بالحرب ومن كان الله حربًا عليه فلا خوفٌ منه ولا أملٌ باستمرار السلطانة كما جاء في الحديث القدسي من عاد لوليًا فقد آذنته بالحرب يكفينا من البشارات قول رب الأرض والسماوات ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في ذلك لبلاغاً لقوم عابدين يكفينا من البشارات تلك البشرى الأظيمة في حديث تميم الداري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله خاد الدين بعز عزيز أو بذل دليل عزًّا يعز الله به الإسلام وذلًّا يدل الله به الكفر لكن قبل أن يتحقق الوعد ويتحقق الانتصار لابد أن نعلم أن أمامنا كفاحًا مريرًا شاقًا طويلًا حتى ننقذ هذه البشرية وسط قاد الركام والضياع أما رأيتم الذين يسجدون لغير الله وحتى نكون أهلاً للانتصار لابد أن نستعد بأن نرتفع إلى مستوى هذا الدين نرتفع إلى مستواه في حقيقة إيماننا بالله وفي حقيقة معرفتنا بالله فإننا لن نؤمن به حق الإيمان حتى نعرفه حق المعرفة ولابد أن نرتفع بمستوى عبادتنا لله لابد أن نرتفع لمستوى وعينا بما حولنا وبالأخطار التي تهددنا إنه كفاح مرير وكفاح طويل لكنه كفاح بطير وكفاح أصيل والله معنا ولن يترنا أعمالنا من أجل كل الذي قلنا وذكرنا نحن متفائلون من أجل كل الذي قلنا وذكرنا نحن متفائلون أن العاقبة للمتقين وأن النصر للمؤمنين أخيراً عباد الله حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة من الناس لا خير فيهم فقال ثلاثة لا تسأل عنهم فذكر منهم ورجل في شك من أمر الله وقانط من رحمة الله لذلك فإن الأمة التي نخرها الشك ونغشها القنوط لا يرجى خيرها ما لم تستعد الثقة واليقين وتحتم الظن برب العالمين فحسن الظن هو المصباح الوهاج في ظل اشتداد ليل المشكلات واعلم عباد الله أن الذي يقدر المصير هو الله وليس فلانا أو فلان فمقاليد الأمور بيد الله يقلبها كيف يشاء يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن واعلم أن ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال فلابد لليل أن ينجل ولابد للفتاء أن يذهب جفاء ولابد لما ينفع الناس أن يمكث في الأرض ويمضي قدر رب العالمين في أن تكون الآقبة للمتقين والأيام دول بين الناس وشأن البشر الصعود والنزول قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل السنبلة تميل أحيانا وتقوم أحيانا المهم أنها تقوم المهم أنها تقوم يوما ما وتلك سنة كونية وهذا اليوم آت لا محالة إذا توفرت الأسباب والعاقبة للمتقين اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الموحدين اللهم أعز الإسلام والمسلمين ودمر الشركاء والمشركين وانصر عبادك الموحدين اجمع شملنا ووحص صفنا وأصلح ذاتا بيننا وأصلح أولاث أمورنا أولاث أمور المسلمين وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين انصر إخواننا في العراق في فلسطين في كشمير في الفلبين في أفغانستان في السودان وفي كل مكان كلهم عونا وظهيرا ومؤيدا ونصيرا اللهم انصر من نصرهم اللهم اخذل من خذلهم فك أسرعنا وأسرع المسلمين اللهم من سعى في فكاة أسرعنا ففك رقبته من النار